التداوي الشعبي من أمراض المَعِدَّة بمنطقة توات على ضوء الرسالة الطبية للشيخ البكري بن عبد الرحمن التواتي(ت1339هـ/1921م)

The traditional medicine of gastric diseases in the region of Touat in the light of Sheikh El Bekri Ben Abderrahmane El Touati's medical letter (1339H/1921AD)

1- د. عبد الله بابا، جامعة أحمد درايعية أدرار (الجزائر)

abd.baba@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2023 /04/13 تاريخ القبول: 2023 /05/18 تاريخ النشر: 2023 /06/04

الملخص: تعد ممارسة التداوي بالأعشاب في المجتمعات القصورية الصحراوية ظاهرة واسعة الانتشار، وتمتهن بشكل عادي من طرف أهل الخبرة العلمية وكبار السن، وكان ممن اشتهر من أهل المعرفة بتوات مع بداية الاحتلال الفرنسي هو الشيخ البكري بن عبد الرحمن، الذي سجل في ديوانه المخطوط كيفية الوقاية والعلاج من أمراض متنوعة، ومنها هذه الرسالة الطبية – محل الدراسة- التي ضمنها وصفة علاجية لصديقه من حاضرة أولف، كان يشكو من آلام المعدة التي وصلت به إلى حدٍ لا يطاق، دفعته إلى مراسلة الشيخ البكري يطلب منه علاجاً لمرضه. وعليه يمكننا طرح الإشكالية التالية: ما هي أمراض المعدة التي كانت منتشرة بالمنطقة وما طرق التداوي الشعبي منها عند أهل الخبرة والمعرفة؟. وتحت هذا الاستفهام تندرج تساؤلات فرعية، منها: من هو الشيخ البكري بن عبد الرحمن التواتي؟ وما طبيعة العلاج الذي وصفه الشيخ لصديقه من الأعشاب والقرآن الكريم والسنة النبوية؟ وتوصلنا في دراستنا إلى حصر طبيعة أمراض المعدة بالمنطقة، وطرق التداوي الشعبي منها؛ القائمة عند أهل الاختصاص في تبني نوعين من العلاج أحدهما عضوي والآخر روحي.

الكلمات المفتاحية: البكري بن عبد الرحمن التواتي؛ الطب الشعبي؛ مرض المعدة؛ توات؛ أولف.

*- المؤلف المرسل

Abstract: The herbal medicine is a widespread phenomenon practiced in the Saharan communities. During the beginning of the French colonisation of Touat, there was a famous expert in traditional medicine 'Sheikh El Bekri Ben Abderrahmane' who prescribed in his collection of manuscripts how to prevent and cure various diseases. Among these letters, the one under study was prescribed to his friend from Aoulef who was suffering unbearable gastric pain. The following questions can be asked: what are the gastric diseases that were spread in the region and how to cure them using traditional medicine? And as sub-questions: who is Sheikh El Bekri Ben Abderrahmane El Touati? What is the nature of the treatment he prescribed to his friend from herbs, Quran, and Sunnah? In this study we managed to narrow down the nature of gastric diseases in the region and the different ways to cure it based on organic and spiritual treatments.

Keywords: Sheikh El Bekri Ben Abderrahmane El Touati, traditional medicine, gastric disease, Touat, Aoulef.

مقدمة: شكلت الظروف المعيشية الصعبة لسكان الواحات الصحراوية في نهاية القرن 19 وبداية 20م نتيجة قلة الغذاء وتراجع حجم تجارة القوافل سواء مع السودان الغربي أو القبائل الرعوية في الشمال بسبب القيود الفرنسية سبباً مباشراً في تنامي الفقر والمجاعة، مما نجم عن ذلك انتشار الأمراض والأوبئة، فقد أشارت التقارير الفرنسية بخصوص الوضع الصحي للسكان بمنطقة توات[1]، إلى انتشار أمراض وأوبئة متنوعة ضربت المنطقة منها: أمراض المعدة والقولون وأمراض العيون والمفاصل والقوباء والملاريا والبحمرون والسل، والجدري.

[1] توات هي جزء من الصحراء الكبرى، تقع في الجنوب الغربي من الجزائر، وتنحصر طبيعا في المجال الضيق المحاذي لواد مسعود، حيث ترسم واحة توات مع كل من واحتي ڤورارة وتيدكلت على شكل هلال يتحلق حول هضبة تدمايت، تأخذ توات وسطه، وتشكل العروق معظم الحدود الطبيعية للمنطقة، احتلت المنطقة من طرف الاستعمار الفرنسي سنة 1962. للمزيد انظر: عبد الله بابا، الحياة

ونتيجة لتواجد سكان توات ضمن تجمعات قصورية متباعدة فيما بينها نسبيا، ومع نقص التغذية وضعف المستوى المعيشي في ظل غياب منظومة صحية للاحتلال الفرنسي، ناهيك عن انتشار الأمراض واختلافها من منطقة لأخرى، لجأ سكان الواحات الصحراوية (توات، تيدكلت، قورارة) إلى التداوي الشعبي عند ذوي الخبرة من أهل المعرفة والأسر المتوارثة لمهنة الطب الشعبي، قصد تحصيل العلاج المناسب لأمراضهم في ظل غياب شبه تام للمصالح الصحية الفرنسية، وكان ممن له دراية واهتمام بهذا العلم من الشيوخ الفقهاء الشيخ البكري بن عبد الرحمن التواتي الذي عادت إليه المشيخة العلمية بالزاوية البكرية، والذي كانت له اجتهادات في هذا الباب بتسخير جزءاً من وقته في معالجة الناس ووصف العلاج العضوي والروحي لهم، مستنداً في ذلك إلى ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية.

ونحاول من خلال هذه الدراسة كشف بعض الجوانب المتعلقة بممارسة مهنة التداوي الشعبي بالواحات الصحراوية، انطلاقا من المصادر الوثائقية، بحصر روادها وإمكانياتهم العلمية والأدوية المستخدمة في التداوي من بعض أمراض الجهاز الهضمي. وعليه يمكننا طرح الإشكالية التالية: ما هي أمراض المعدة التي كانت منتشرة بالمنطقة، وما طرق التداوي الشعبي منها عند أهل الخبرة والمعرفة؟. وتحت هذا الاستفهام تندرج تساؤلات فرعية، منها: من هو الشيخ البكري بن عبد الرحمن التواتي؟ وما مضمون رسالته الطبية إلى صديقه الأولفي؟ وما طبيعة العلاج الذي وصفه الشيخ لصديقه من الأعشاب والقرآن الكريم والسنة النبوية؟ وهل للشيخ إسهامات طبية في التداوي من أمراض أخرى؟

الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1900-1962م من خلال سجلات المحكمة الشرعية، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، قسم العوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أدرار، الجزائر، 2018-2019، ص23.

1. التعريف بالشيخ البكري بن عبد الرحمن بن الطيب التواتي[1]: ولد البكري بن عبد الرحمن بن الطيب عند أخواله بالزاوية البكرية[2] سنة 1261هـ/1845م، وتربى في بيت خاله الفقيه الحسن بن سعيد البكري، حيث يتصل صاحب الترجمة في نسبه بالبيت التنلاني الأموي، فهو ابن الشيخ عبد الرحمن بن الطيب بن أحمد بن أمحمد بن محمد الطيب بن عومر بن معروف بن يوسف التنلاني[3].

نشأ الشيخ البكري بن عبد الرحمن في بيئة علمية صالحة، حيث تعلم على يد والده ثم عند خاله الشيخ الحسن بن سعيد البكري(ت1286هـ/1869م)[4] لمدة سنتين بالزاوية البكرية، وعنه أخذ علوم اللغة والفقه والتفسير والحديث، ثم انتقل بعدها إلى بلدة كالي[5] بتيميمون عند الشيخ مولاي

---

[1] للمزيد حول حياته أنظر: عبد القادر سليماني، قصائد الشاي في ديوان الشيخ محمد البكري بن عبد الرحمن التنلاني ت1339هـ تحقيق ودراسة، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أدرار، 2013-2014، ص ص51-59.

[2] تأسست الزاوية البكرية سنة 1112هـ/1701م على يد الشيخ سيد البكري بن عبد الكريم بن أمحمد التمنطيطي، حيث تم تكليف الإبن الشيخ محمد بن سيد البكري بإدارة شؤون الزاوية سنة 1117هـ/1705م، ثم تولى أمر الزاوية بعد وفاته ابنيه عبد الكريم ومحمد الصالح، ثم تولى شؤونها الشيخ بوزيان ثم الشيخ سعيد ثم محمد الطيب وبعده سيد البكري بن المبروك بن محمد الصالح ثم الحسن بن سعيد(ت1286هـ/1869م). للمزيد انظر: عبد الله بابا، الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات من 1112 - 1421هـ / 1700 - 2000 م، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة أدرار، الجزائر، 2011-2012، ص ص59-65.

[3] تقييد حول الشيخ سيد البكري بن عبد الرحمن، مخطوط، غير منشور، خزانة الحاج عبد الله بكراوي، غوزي، أدرار، الجزائر.

[4] الحسن بن سعيد البكري يعتبر أشهر الأعلام الفقهاء الذين أسسوا مجلس علم بالزاوية البكرية. ولد بالزاوية البكرية سنة 1210هـ/1796م، أخذ العلم بحاضرة ملوكة على يد الشيخ عبد العزيز البلبالي وحصل منه على إجازة في جميع الفنون التي أخذها عنه، كان له مجلس علم تخرج على يده شيوخا وفقهاء، منهم: ابنه الشيخ محمد، والقاضي الحاج محمد بن عبد الرحمن، الشيخ البكري بن عبد الرحمن التنلاني، له عدة مؤلفات متعددة الأغراض. انظر ترجمته: عبد الله بابا، الزاوية البكرية، مرجع سابق، ص ص109-110.

[5] كالي إحدى قرى مقاطعة أولاد سعيد بتيميمون وتبعد عنها ب 30 كلم ناحية الشمال.

عبد الحاكم بن مولاي عبد العالي بن مولاي محمد ولازمه إلى غاية وفاته، وبعد وفاة خاله الحسن بن سعيد البكري جلس الشيخ البكري بن عبد الرحمن للتدريس بالزاوية البكرية والتأليف في مجالات عدة، حيث وصفه الشيخ باي بلعالم بقوله:" كان بحراً لا يجارى" وكان إذا سئل عن مسألة يقول للسائل أتريد الجواب نظما أو نثرا، كذلك إذا سئل تدوين وثيقة يقول للسائل أتريد الوثيقة نظماً أو نثراً؟[1]، كان همه طول حياته التدريس والتعليم والتدوين وخدمة العلم، كما عرف بزهده في الدنيا وملذاتها، ومن بين تلامذته: الشيخ عبد العزيز بن الصافي البكري، والشيخ البكري بن محمد الصالح، والشيخ محمد بن عبد الوافي البكري، والشيخ سالم بن محمد الطيب البكري[2]. خلّف الشيخ البكري بن عبد الرحمن تراثاً متنوعاً وضخماً من الكتابات المتعددة الأغراض، جمعها في ديوان من أربعة أجزاء. توفي الشيخ البكري بن عبد الرحمن بن الطيب بالزاوية البكرية ودفن بها سنة 1339هـ/1921م[3].

2. الطب الشعبي بمنطقة توات:

تعد حرفة التطبيب الشعبي بتوات من الحرف القليلة الانتشار لما لها من خصوصية وأهمية في حياة السكان، فقد مورست من طرف أسر معينة توارثت فيما بينها ما يعرف محليا بـ"الحكمة" خاصة في أنواع معينة من الأمراض، غير أن أهل المعرفة الذين كانت لهم دراية علمية واسعة بالأمراض وطرق العلاج منها فقد كانوا يعدون على أصابع اليد. لذلك نجد المرضى بمجرد أن يشعروا بالألم إلا وتجدهم يبحثون عن دواء لهم عند أهل الخبرة والمعرفة، أو عند عائلات اشتهرت في هذا المجال ولها خبرة كافية في علاج نوعية محددة من الأمراض. ويستخدم في هذا النوع من الطب الشعبي مستخلصات الأعشاب والمعادن التي توفرها البيئة الصحراوية، والتي يتم تحضرها بوسائل بسيطة، وتقدم للمريض في شكل سائل أو مرهم، بعد معرفة نوعية مرضه بين عضوي ونفسي، وإذا كان

[1] محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج1، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص254.

[2] البكري بن عبد الرحمن التواتي، منظومة أوصاف الخيل(شفاء القلب العليل بتحقيق شرح منظومة البكري على أوصاف الخيل)، تح: محمد سالم بن عبد الكريم، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2006، ص34.

[3] تقييد حول الشيخ سيد البكري بن عبد الرحمن، مخطوط، غير منشور، خزانة الحاج عبد الله بكراوي، غوزي، أدرار، الجزائر.

الشخص المُعالج من أهل العلم فذلك أدعى أن يشتهر في توات، وتتم مراسلته من مناطق بعيدة قصد الحصول على وصفته الطبية.

أما أهم الأعشاب المستخدمة في التداوي والمتواجدة بالمنطقة فهي: الشيح، الحلبة، الكمون، العريضة، الوزوازة، الكباد، غلاشم، السنا، الكمأة، العرعار، اليازير، النتل، الفيجل، البسباس، حب الكتان، العك، السدر، الزعتر، الحناء، حب الرشاد، الرمث،الحبق، عسل النخل، ومن الأعشاب المستوردة، الزنبنة، بوفتاش، بوصوصوا، عرق السوس، الكست، فري، الإثمد، أحجار[1].

3. قراءة في الرسالة الطبية للشيخ البكري بن عبد الرحمن التواتي:

جاءت رسالة الشيخ البكري بن عبد الرحمن التواتي (ت1339هـ/1921م) إلى صديقه الأولفي[2] ضمن كتابه المخطوط المسمى بـ "الديوان"، والذي ينسب للشيخ البكري بن عبد الرحمن التواتي، وضم فيه كل ما ألفه في شتى الأغراض كالأدب واللغة والنحو والتاريخ والطب والتصوف، إما نثراً أو شعراً. والرسالة المرسلة في صفحتين لا تتضمن عنواناً ولا تاريخ كتابتها ولا اسم المتلقي لها، غير أننا نستنتج بعض الملامح الدالة على موضوعها ومؤلفها وبيئة المريض المرسلة إليه والغرض من صياغتها، فقد ابتدأ المؤلف رسالته أو جزءاً منها حسب -ما يبدو- بقوله: "وأما ما تشكو به أيها الأحب النجيب من المرض الذي منعك لذة الطعام والشراب، ولعل ذلك والله أعلم من احتقان فضلة ردية في المعدة من بقية الطعام"[3]، وهذه البداية المبسوطة في المخطوط تدل على أن هناك سلام وصداقة وسؤال وتراسل سابقٌ بين الشيخ البكري وصديقه الأولفي ويظهر هذا من خلال وصفه له بعبارات المحبة والتبجيل، ومنها: "أيها الأحب النجيب" وقوله: "وعليك أيها الأحب"، ويظهر هذا مدى الصداقة بينهما. ومن معرفة المريض بمكانة الشيخ البكري العلمية الفقهية، دفعه ذلك إلى أن يطلب منه في رسالة –على ما يبدو- وصفة علاجية لمرضه، وهو يعلم مسبقاً بمدى براعة صديقه في مجال التطبيب الشعبي، وأنه على دراية واسعة بمفاصل هذا المجال، لذلك شكى له ما ألم به من المرض الذي وصل به إلى حدٍ لا يطاق[4]، وطلب مساعدته رغم بعد المسافة بينهما (ما يقارب 200كلم)، في وصف علاج

---

[1] محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ج2، ص254.

[2] أولف كلمة بربرية تعني خلية النحل أو وسط النخلة . انظر: عبد المجيد قدي، صفحات من تاريخ منطقة أولف، ط2، دار الأبحاث، الجزائر، 2007، ص18.

[3] البكري بن عبد الرحمن التواتي، الديوان، مخطوط غير منشور، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر، ص253.

[4] نفسه.

لمرضه، الذي فشلت معه كل المحاولات العلاجية، أو بسبب غياب مختص بمنطقة أولف في مكانة الشيخ البكري.

وتتضح لنا من الرسالة بعض ملامح البيئة الاجتماعية لصديق الشيخ البكري وذلك من خلال بعض المعاني الواردة في متن الرسالة التي تدل أنه يسكن بحاضرة أولف من منطقة تيدكلت، ومنها: "واعلم أن ماء أولف غليظ"، وأيضا: "ومن أكبر ما يعين على الهضم وما يزيل وخمة ذلك الماء الذي بأولف"، وهذا مؤشر على نوعية الماء المستخدم للشرب بمنطقة أولف وأنه لا يساعد على الهضم مما يساهم في انتشار أمراض المعدة بالمنطقة. ومما تطرق له الشيخ البكري في باب نوعية الأكلة المشهورة عند سكان واحات منطقة تيدكلت[1] هو حبهم لنوع من الطعام يسمى "الكسرة" (التي تعد من دقيق القمح)، والمعروفة عند عامة سكان المنطقة بخبز الفطير، وقد جاء ذلك في متن الرسالة بقوله: "وأما الخبز الفطير المسمى عند العامة بالكسرة ...وهي من أكثر طعام تيدكلت"[2].

ويبدو أن الشيخ البكري في آخر الرسالة أراد أن يوجه نصيحة خاصة لصديقه، وذلك بعدما وصف له علاج مرضه العضوي وبين له الأسباب الدافعة إلى ذلك، عرّج على وصف علاج خاص للجانب الروحي يتمثل في: الإكثار من الدعاء والأوراد، مبررا له ذلك بأن هذا العلاج يَكْمُنُ فيه صلاح الدنيا وصلاح الآخرة، وذلك فيما نصه: "وعليك أيه الأحب بالمحافظة على الأوراد أول النهار وآخره فإن في الأوراد صلاح الدنيا وصلاح الآخرة والمسؤول من الله تعالى أن يوفقنا وأياك لما يحبه المولى ويرضاه بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم"[3].

4.أمراض المعدة وطرق علاجها بالطب الشعبي من خلال الرسالة الطبية:

يبدو من خلال الرسالة قدرة الشيخ البكري الشيخ بن عبد الرحمن على تشخيص أمراض المعدة ومسبباتها، فقد جاء في مستهل رسالته الطبية إلى وضع فرضية في مسببات الداء الذي تعرضه الأولفي، ثم حدد له جملة من النصائح الطبية لإزالة المرض، وفي الأخير قدم له إرشادات وقائية

[1] تيدكلت تعني بالأمازيغية كف اليد أو اليد المفتوحة، ويعرفها البعض بتيدكلت الغربية تمييزا لها عن الشرقية التي هي عين صالح وضواحيها. انظر: عبد المجيد قدي، مرجع سابق، ص ص20-21.

[2] البكري بن عبد الرحمن التواتي، الديوان، مصدر السابق، ص ص253-254.

[3] نفسه.

مستقبلية، ومما أعلمه في مضمون الرسالة الطبية بأن مرض المعدة يتأتى من فضلات علقت في البطن لا يُخرجها إلا القيء لأنه صابون البطن، وأن الإنسان تتحسن حالته إذا صح بطنه، وينعكس ذلك على الأعضاء، كما يصبح الإنسان يتلذذ الطعام والشراب بعد خروج القيء، وذلك بقوله: "من المرض الذي يمنعك لذة الطعام والشراب ولعلّ ذلك والله أعلم من احتقان فضلة رديئة في المعدة من بقية الطعام، قد تعفنت هناك، لا يخرجها إلا القيء أو الإسهال"، ومن جملة العلاج العضوي الآني والسريع في مثل هذه الحالات يتمثل في عملية إخراج القيء لإزالة تلك الفضلات العالقة ببطن، وقد نصح أهل الحكمة المريض بهذا النوع من المرض بأن يتقيأ، وعلة ذلك عندهم هو صابون البطن، ومنه قوله: "فأن الحكماء من الأطباء قد حثوا على إخراج القيء لأنه صابون البطن فكما أن الثوب يزيل وسخه الصابون، كذلك البطن يزيل وسخه إخراج القيء"[1].

وعملية إخراج القيء لم يتركها الشيخ البكري على عادتها بل وصف لصديقه الطريقة الصحيحة والطبية، وذلك بأن يقوم بتسخين الماء، ثم يجعل فيه شيئا من الملح، ثم يشربه، وبعدها يجعل أصبعه في أقصى لسانه ويكون ذلك بعد الأكل وامتلاء المعدة مما يسهل عملية إخراج القيء، ونصحه بأن لا يتوقف عن القيء إلا بعد أن يتأكد بأنه لم يبقى في بطنه طعام، وإذا خرج القيء منه حذره الشيخ البكري بأن لا يأكل إلا على الجوع ولا يشرب إلا على العطش ولا يشبع شبعة كبيرة، وأن يرفع يده من الطعام وهو لازال يشتهيه[2].

5. الأطعمة والأشربة بمنطقة توات بين المضرة منها والصحية حسب الرسالة الطبية:

1.5 اللحوم والأطعمة الضارة: بيّن الشيخ البكري علة إضرار بعض اللحوم الحمراء بالجهاز الهضمي لسكان توات، ومنها لحم البقر[3] الذي لا يتلاءم مع البيئة الحارة لتوات، وإنما يناسب أهل الإقليم الحار الرطب من السودان كأهل بورنو وزندر[4] وما جاورهما من أقاليم السودان

[1] نفسه.

[2] نفسه

[3] لم يثبت في الدراسات الفرنسية بأن توات كانت تمتلك ثروة حيوانية من البقر، لذلك نعتقد بأن لحم البقر المقصود هنا كان يؤتى به من السودان الغربي في شكل لحم القديد عن طريق تجارة القوافل.

[4] تعد مدينة زندر النيجيرية من الحواضر التاريخية القديمة تأسست بها سلطنة في القرن 18م على يد مالم يونس دن المؤسس الأول للسلطنة، وكانت زندر إحدى المناطق الثلاثة التي يقصدها طلاب العلم

الغربي، ويرجع سبب ذلك إلى طبيعة أرضهم الحارة والرطبة التي تناسب أجسامهم، وذلك لأن لحم البقر بارد يابس رديء وثقيل، وهو داء بالنسبة لسكان الواحات، ومن أراد إزالة ضرره فعليه أن يطبخه مع الثوم والزنجبيل والفلفل الأحمر.

ومن الأطعمة الضارة بالجسم في توات ما يعرف بالكسرة(الخبز الفطير) فأن من المداومة عليها تضر بالمعدة لأنها غذاء ثقيل بطيء الهضم، فإن اجتمعت الكسرة ولحم البقر والماء الثقيل اجتمع الضرر بالجسم. خاصة إذا اجتمع في البطن كل من لحم البقر والكسرة والماء الوخيم فقد اجتمع الضرر، وتفسير ذلك حسب البكري راجع إلى:"أن الكسرة ثقيلة ولحم البقر ثقيل والماء ثقيل"، وعليه طلب من صديقه أن يبدل الكسرة بالخبز الرقيق والعيش وكل المأكولات الخفيفة، ويذكر البكري أن مما ساعد أهل تديكلت على تنجب العديد من الأمراض الناتجة عن هذه الأكلات الثقيلة هو شربهم الشاي بشكل يومي[1].

2.5 اللحوم والتوابل المفيدة لسكان الواحات: وأما عن أفضل اللحوم للسكان الواحات الصحراوية –حسب الشيخ البكري- فهو لحم الضأن والمعز ثم الإبل، ولحم ذكورها أفضل من إناثها، ولحم صغارها أفضل من كبارها، وأما لحوم الطير فأفضلها لحم الدجاج وأفضل لحوم الدجاج لحم الفراخ منها وهي الصغار من ذكورها وإناثها قبل أن تبيض الدجاجة ويضرب الديك.

من التوابل التي جاء على ذكر فوائدها العلاجية والوقائية مادة الفلفل الأحمر الذي يستورد من السودان ويستعمل بشكل واسع في المنطقة، ومما يؤكده الشيخ أن لهذا الفلفل الفضل في وقاية سكان المنطقة من أمراض كثيرة ناجمة عن أكلهم لحم البقر، فهو يساعد على الهضم، ويزل الروائح الجوفية(الغازات) من الأحشاء، ويساعد على التقليل من هيجان البطن وسوء الهضم، ويعمل على زوال البرد من الأعضاء والجسم، وعن طريقة استعماله للعلاج فيذكر بأنه: يوضع في الأطعمة أو يتم ابتلاعه عند النوم على الريق ثلاثا أو خمسا أو سبعا على حسب درجة المرض[2].

3.5 مشروب عشبة الشاي بين التحذير والترغيب: وفي مجال الأشربة نبه الشيخ البكري صديقه من المداومة على شرب الشاي المعروف باسم "الأتاي" كل يوم، وأن لا يجمع بين شربتين في

بعد سوكوتو وكانو. مهدي الحاج معاذ، المراكز الثقافية بالنيجر، https://www.fm6oa.org، يوم 2023/4/09.

[1] البكري بن عبد الرحمن التواتي، الديوان، مصدر سابق، ص ص253-254.

[2] نفسه، ص253.

اليوم والليلة خاصة من كان لون جسمه أصفر، لأنه يمتص الرطوبة من الجسم وبالتالي يقع الضرر، ومن كان لون جسمه أصفر فهذا دليل على قلة رطوبته، والشاي يعمل على امتصاص الرطوبة الفرعية فإذا انتهت الرطوبة الفرعية، عمل الشاي على امتصاص الرطوبة الأصلية يقول في ذلك ما نصه: "والأتاي يرشف الرطوبة الفرعية فإذا أفناها أخذ في الرطوبة الأصلية التي تقوم بها الروح فيقع الضرر...وتتقلص جلدة الدماغ فيتضرر في الروحانية والجثمانية وخير الأمور أوسطها."

واستثنى الشيخ البكري الشيخ الكبير في السن من هذه القاعدة بأن رفع عنه حَرَج عدد مرات شرب الشاي في اليوم بأن جعله له أن يشربه في اليوم أو الليلة مرتين أو ثلاثا لأنه بارد المزاج كثير الفضلات فالإكثار منه ينفع الشيخ الكبير ولا يضره، بخلاف الشباب ولا سيما الشباب ذوي اللون الأصفر، وإذا كان لا بد من شربه فلا يزيد الإنسان منه عن ثلاثة كؤوس، ولا على مرتين بين اليوم والليلة، ولا يتم شربه على الريق إلا أن بات صاحبه على طعام دسم أو على تمر ولبن فلا بأس بذلك . ومنه قوله: "وأهل تيدكلت يحبون الكسرة وفيها ضررهم لو كانوا يعلمون، وأيضا لولا ما تطبعوا به من شرب الأتاي لأسرع إليهم الضرر لأنه هاضم عظيم"[1].

ومما نظمه الشيخ البكري في مضار شرب الشاي على معدة فارغة بقوله:

شرابه يا صاحبي على خلا المعده مضرة وليس فيه فائدة[2]

أما عن منافع شرب الشاي في يقول في قصيدة على البحر الطويل:

منها صفاء القلب والدمـــــاغ والحفظ والإفصاح بالبــلاغ

والشرح للصدر وهضم الأطعمة وخفة السعي وفتح الأصخمة[3]

6. نصائح للوقاية من أمراض المعدة: نبّه الشيخ البكري بن عبد الرحمن صديقه المذكور إلى أهمية الصوم لصحة الإنسان، وطلب منه بعد رجوع صحته إليه أن يقوم بصيام يوم واحد في الأسبوع كالاثنين أو الخميس، وإذ لم يستطع فعليه بصيام يوم واحد في أسبوعين، وإذا لم يقدر فيوم واحد كل ثلاثة أسابيع، وإذا لم يستطع فمرة واحد في الشهر وأخبره بقوله: "ولا أسامحك في ذلك لأن الجوعة مرة تصحح البطن وبصحة البطن يصح الجسد، لأن البطن هو حوض البدن فإذا تكدر تكدر سائر الجسد، وإذا صفا صفا سائر الجسد، لأن العروق إلى البطن واردة"[4]، كما حضه على المداومة

---

[1] نفسه، ص254.

[2] عبد القادر سليماني، مرجع سابق، ص65.

[3] نفسه، ص63.

[4] البكري بن عبد الرحمن التواتي: الديوان، مصدر سابق، ص254.

أذكار الصباح والمساء ومنها قوله: "وعليك أيه الأحب بالمحافظة على الأوراد أول النهار وآخره فإن في الأوراد صلاح الدنيا وصلاح الآخرة"[1].

7. مساهمة الشيخ البكري في وصف طرق إعداد دواء لأمراض العيون:

كانت للشيخ البكري بن عبد الرحمن في ديوانه المخطوط مساهمات عديدة في مجال الوصفات الطبية للأمراض المنتشرة في توات والواحات المجاورة، خاصة منها مرض العيون، موظفا من جاء في السنة النبوية حول طرق الوقاية والعلاج لهذه الأمراض، مشيرا إلى أنّ أنفع دواء للأمراض العيون هو "الأثمد"، مستنداً في ذلك إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿اكْتَحِلُوا بِالإِثْمِدِ فَإِنَّهُ يَجْلُو البَصَرَ، وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ﴾[2]، وقد عدد الشيخ البكري فوائد "الأثمد" واستعمالته المتنوعة والتي منها: التداوي به من أمراض العيون، وبعد ولادة الطفل الرضيع، وفي مجال الوقاية نبّه إلى أنه من الأحسن استعماله عندما تكون العين ففي ذلك فائدة عظيمة، تتجلى في ترطيبها وتبريدها، وهذا هو القصد الأساسي لمادة "الأثمد"، ولأنه يؤخذ لحفظ صحة العين ووقايتها، كما وضع الشيخ البكري شروط يجب أن تتوفر في ممتهن حرفة إعداد مادة الأثمد العلاجية وفي الوسائل والمكان المخصص لذلك، ومنها: نظافة المكان والوسائل؛ ونظافة الشخص الذي يقوم بإعداد الإثمد، وحدد أيضا شروط للحفظ ومدة استعماله، كما نبه إلى أن أحسن وقت لاستخدامه يكون عند النوم، غيره أنه أبدى أسفه العميق من قلة هذه المادة في أرض البلاد المغاربية[3].

6.الخاتمة:

أخيراً يمكن الإشارة إلى أن الرسالة التي بين أيدينا هي مصدر هام لفترة حساسة من تاريخ توات، تضمنت مؤشرات تاريخية صحية واجتماعية للمنطقة في زمن الاحتلال الفرنسي لها فالوثيقة التي هي فشكل رسالة طبية من خلال دراستنا لها توصلنا إلى جلمة من النتائج منها:

- بينت لنا بأن ممارسة مهنة التطبيب في الواحات الصحراوية قد تصدى لها العلماء والفقهاء ولم تكن حكراً على الأسر المتوارثة لهذه الحرفة.

---

[1] نفسه.

[2] الترمذي محمد بن عيسى الضحاك، سنن الترمذي الكتاب الجامع الكبير (باب ما جاء في الاكتحال)،ج3، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 286.

[3] البكري بن عبد الرحمن التواتي، الديوان، مصدر سابق، ص ص 175-178.

- أشارت الرسالة إلى أن الطبيب المعالج الشيخ البكري بن عبد الرحمن كان على علم مسبقا ببيئة المريض والبيئات المجاورة في السودان الغربي وتأثير كل ذلك على المعدة.
- معرفة الطبيب ببيئة المريض يمثل جانبا هاما في وصفه للعلاج المناسب له مع تقديم جملة من النصائح الوقائية.
- اعتمد الشيخ البكري في وصفته الطبية العلاجية على شقين هما: أولاً علاج عضوي سريع لإزالة المرض، والآخر روحي طويلة الأمد للوقاية الجسدية والروحية.
- وضحت الوثيقة أيضا أن طلب العلاج الشعبي والاستشفاء في الواحات لم يمنعه بعد المسافة بين منطقة المريض والطبيب، وأن التواصل كان قائم بين الواحات الصحراوية.
- تضمنت الرسالة العديد من الدلالات الاجتماعية خاصة ما تعلق منها بنوعية الطعام الأساسي واللحوم والأشربة المنتشرة بمنطقة الواحات الصحراوية.

قائمة المراجع:

- بابا عبد الله، الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات من 1112 - 1421هـ / 1700 - 2000 م، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة أدرار، الجزائر، 2011-2012.
- بابا عبد الله، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1900-1962م من خلال سجلات المحكمة الشرعية، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، قسم العوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أدرار، الجزائر، 2018-2019.
- بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج1، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- الترمذي محمد بن عيسى الضحاك، سنن الترمذي الكتاب الجامع الكبير (باب ما جاء في الاكتحال)،ج3، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- تقييد حول الشيخ سيد البكري بن عبد الرحمن، مخطوط، غير منشور، خزانة الحاج عبد الله بكراوي، غوزي، أدرار، الجزائر.
- التواتي البكري بن عبد الرحمن، الديوان، مخطوط غير منشور، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
- التواتي البكري بن عبد الرحمن، منظومة أوصاف الخيل(شفاء القلب العليل بتحقيق شرح منظومة البكري على أوصاف الخيل)، تح: محمد سالم بن عبد الكريم، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2006.

- سليماني عبد القادر، قصائد الشاي في ديوان الشيخ محمد البكري بن عبد الرحمن التنلاني ت1339هـ تحقيق ودراسة، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أدرار، 2014-2013.
- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ منطقة أولف، ط2، دار الأبحاث، الجزائر، 2007.
- مهدي الحاج معاذ، المراكز الثقافية بالنيجر، https://www.fm6oa.org، يوم 2023/4/09.

الملاحق

الملحق1: الوجه الأول من الرسالة الطبية للشيخ البكري بن عبد الرحمن التواتي (كما وردت في مخطوط "الديوان")